ع.ع. حجر

يقدم لك مذاق

شوكولاتة بالبندق

شوكولاتة بالبندق

مليونير لفترة محدودة

(شوكولاتة بالبندق)

عبدالهادي عاصم محمد

٢٠٢١

نشر إلكتروني / قصة قصيرة

لا تنسى

أن تطلعني على رأيك

ع.ع. صجر

شوكولاتة بالبندق

إذا كانت حياتي قصة، حتما سيكون اسمها (الجحيم). خلعت ملابس العمل ووضعتها في الدولاب، وأغلقته. لكن تركت الكاب على رأسي، رغم كرهي لارتداء أي شيء عليه شعار السوبرماركت، لكن شكل شعري الذي لم أقصه منذ أشهر أصبح مخيفا. وضعت اصبعي على شاشة جهاز ماسح البصمة. لم يحدث شيء. نفخت عليه ووضعته مرة أخرى. لم يلتقط الجهاز بصمتي. كورت قبضتي ولكمته صائحا ليسمعني المشرف:

- "هذا الجهاز الغبي توقف عن العمل من جديد!"

كنت أتوقع الرد مسبقا، لكن مددت أذني لعل الإجابة تتغير. أتى صوت مشرف المخازن من الداخل:

- "بلل اصبعك"

كالعادة؛ يجب أن أتذوق طعم يدي المتسخة حتى أتمكن من الخروج من هذا المكان. لعقت اصبعي، ووضعته على الماسح. أضاءت الشاشة، وظهرت الرسالة "علي حسين ... الخامسة مساء ... انصراف" كان

على من صنع هذا الشيء أن يكتب "انصرف من الجحيم لمدة خمسة عشرة ساعة ثم عد من جديد، لأنك تحتاج للوظيفة ... يا كحيان".

ΔΔΔ

خرجت إلى الشارع. وأخيرا بعض الهواء النقي الخالي من رائحة العلب الكارتونية. لا زالت هناك ساعة قبل حلول الظلام، ما الذي يمكنني فعله؟ طلبت رقم (آية) ووضعت الهاتف على أذني؛ لا ترد أبدا من الرنة الأولى، يجب أن أنتظر ثلاث رنات. واحد ... اثنان ... أجابت:

- "آلو!"
- "ثلاثة"
- "ماذا؟!"
- "لا شيء، أين أنت؟!"
- "من المتكلم؟!"

هل فقدَت الذاكرة؟! نسيَت أني خطيبها منذ عامين؟! أخيرا، شيء جديد في تلك الحياة المملة؟! إنه شيء مؤسف، لكنه جديد على الأقل. قلت:

- "علي! هل يذكرك هذا الاسم بأي شيء؟!"
- "اه، آسفة، لقد قمت بعمل سوفت للجهاز اليوم، وحُذفت جميع الأرقام!"

ثم ضحكت. كم أحب ضحكتها! الشيء الوحيد تقريبا الذي أحبه في حياتي. سكتت قليلا، ثم صرخت بصوت مرتفع حتى أنني اضطررت لإبعاد الهاتف عن أذني المسكينة:

- "ألم تعدني أننا سنخرج اليوم؟!"

تبا! لقد نسيت الأمر تماما! قلت:

- "بالطبع لم أنسَ، أنا أتصل بك لهذا السبب؛ هل أنت مستعدة للخروج؟!"
- "أكيد، هل ستأتِ لاصطحابي؟"
- "من المحل؟"

بدأت عملها في محل ملابس بالمركز التجاري منذ عام، وعلي أن اذهب لاصطحابها كلما تواعدنا. أعتقد أنها تفخر بي أمام زميلتها؛ تلك المتخلفة عقليا التي تضحك كلما رأتني. أجابت على سؤالي متهكمة:

- "لا، ليس من المحل؛ لقد تم تعييني مديرة راديو شاك فرع المعادي!"

إنها خطيبتي؛ الفتاة الوحيدة التي لديها حس فكاهة ثقيل تماما كحس فكاهتي، أعتقد أن هذا هو سبب بقائنا معا حتى الآن. قلت:

- "إذن الساعة التاسعة أمام المركز التجاري؟"
- " لا، اصعد لتصحبني من أمام باب المحل!"
- "بالتأكيد ... إلى اللقاء!"
- "انتظر، أين سنذهب؟!"

نظرا للنقود التي معي، ربما سنذهب للتمشية على النيل، أو التمشية في شوارع وسط البلد، أو التمشية حتى منزلها، وتلك الأخيرة هي نزهتي المفضلة؛ لا أتكلف سوى ثمن علبتي مشروبات غازية، وكيس بطاطس حجم عائلي. قلت:

- "ربما، سنـ ..."

قاطعتني:

- "... لا تقل سنتمشى حتى البيت!"

- "بالطبع لا، كنت سأقول أنها مفاجأة"
- "حقا؟!"
- "أكيد، إلى اللقاء"
- "إلى اللقاء!"

والآن ماذا؟! سأذهب إلى البيت لأستحم، وأغير ملابسي وربما أجد خمسين جنيها في جيب البنطال الآخر، وهكذا يمكنني شراء (كريب) أو (بيتزا) ... ثم نتمشى حتى البيت!

ΔΔΔ

دلفت إلى أحد الشوارع الجانبية لأتفادى ضوضاء الطريق العام؛ الشارع هادئ تماما. كان هناك طفل صغير يقف بجوار أحد المباني؛ مواجها للحائط. لا أعرف لماذا أحب مضايقة الأطفال، لكن الأمر يسليني. مررت من خلف ظهره، ووضعت يدي على رأسه، وقلت ببرود:

- "عد للبيت وذاكر، يا ولد!"

لم يمتعض أو يتحرك كما يفعلون عادة؛ كان ثابتا في مكانه لا يتحرك. وجهت بصري إلى حيث ينظر، فتسمرت أنا أيضا في مكاني. كنا أمام

الصراف الآلي، والماكينة تخرج النقود بلا توقف. بدأت العملات الورقية بالوقوع على الأرض من كثرتها، والماكينة لا يبدو أنها ستتوقف. نظرت إلى الولد؛ بدا في التاسعة من عمره، ويبدو مرتعبا ونظره معلق بالماكينة. لست خبيرا في المعاملات النقدية، لكن أعرف أنه يجب أن تكون هناك بطاقة ائتمانية لتصرف الماكينة النقود؛ لم تكن هناك أي بطاقات في تلك الماكينة. ازدردت لعابي، وسألته بنبرة حاولت جعلها هادئة قدر المستطاع:

- "هل ... هل هذه نقودك؟!"

انتفض كأنه شعر بوجودي للتو، ثم استدار إليَّ وعلى وجهه ملامح الخوف. قال:

- "أنا لم أقصد، كنت فقط ..."
- "اشرح لي بهدوء ما الذي حدث؟!"

توقفت الماكينة أخيرا، وظهرت على الشاشة رسالة "النقود لا تكفي لإتمام العملية". يبدو أن الماكينة لفظت كل ما كان بها من نقود. انحنيت إلى الولد، ونظرت في عينيه مباشرة، وقلت وأنا أبتسم:

- "لا تخف، ماذا فعلت؟!"

بدأ بالتكلم وهو يتلعثم. قال:

- "لقد ... لقد عدت من المدرسة ... أردت شوكولاتة ... طلبت من بابا ... أخبرته أنني أجيد القراءة ... اختبرني ليتأكد ثم أعطاني جنيها واحدا فقط ... الشيكولاتة بالبندق بعشرة جنيهات، وأنا أرى الناس يأخذون نقودا من هنا ..."

كان أبي – رحمه الله – يشبه أبيك؛ الأولاد يأخذون مصروف جنيه، وأنا آخذ باريزة ... بالطبع لو أخبرتك لن تعرف ما هي الباريزة! قاطعته بإشارة من يدي، ثم قلت:

- "أخبرني ماذا فعلت بالماكينة!"
- "ضغطت على الأزرار ... كما يفعل الناس!"
- "أي أزرار؟!"

أشار إلى لوحة مفاتيح الصراف الآلي، وقال ببساطة:

- "كلها!"

تلفتُّ حولي؛ الشارع لا يزال هادئا. شعرت بسعادة غامرة، لكن حاولت ألا أضحك، وقلت بلهجة حازمة:

- "ما فعلتَه كان شيئا خاطئا، ويجب أن تعاقب"

بدأ بالبكاء، كما توقعت، ثم قال:

- "لكن أنا لم أقصد!"
- "حسنا، في تلك الحالة سأسامحك!"
- "حقا؟!"
- "نعم، وسآخذ النقود كلها لأعيدها للماكينة، لكن لا تفعلها مجددا، لأن هذه تسمى سرقة!"
- "أعدك أنني لن أسرق مجددا!"

بدأ بالابتعاد. التقطت عشرة جنيهات جديدة من على الأرض، ومددتها إليه، وقلت:

- "خذ لتشتري الشيكولاتة بالبندق التي تريد، فأنت ولد جيد، وتستحقها!"

أخذ العشرة جنيهات بتردد، ثم انصرف. تأكدت أنه ابتعد، والتقطت كيسا بلاستيكيا من صندوق القمامة القريب. جمعت النقود بسرعة ووضعتها بداخله. تأكدت أنه لا توجد أي أوراق نقدية على الأرض، وتحققت من فتحة الصراف؛ لا شيء عالق. عقدت الكيس بإحكام ... وركضت حتى المنزل.

ΔΔΔ

عددت النقود للمرة الرابعة، وفي كل مرة أفقد العدد. أعتقد أننا لم نصل لتلك الأرقام في المدرسة؛ كانت هناك خانة المئات؛ والآلاف؛ وربما عشرات الآلاف ... لكنني الآن في خانة الأثرياء. فرشت النقود على الأرض، وتظاهرت بالسباحة فيها. كدستها فوق بعضها البعض وجلست عليها كأنني ملك والنقود عرشي، ثم نمت على الفراش وغطيت نفسي بها. انتهيت من اللعب، ثم خلعت ملابسي، وأخذت حماما سريعا ... بالنقود! أشعر أنني سأجن؛ أخذت أضحك بصوت مرتفع. كدست النقود مرة أخرى، وقفزت بين أحضانها. ارتطمت ركبتي بالأرض، فصرخت. صاحت أمي من الخارج:

- "ما الذي حدث؟!"
- "لا شيء، يا أمي!"
- "كل تلك الضوضاء، ولا شيء؟!"
- "لقد وقعت من على النقود ..."
- "ماذا؟!"
- "وقعت من على العقود ... عقود عمل لقد حصلت على عمل جديد"
- "ربنا يكرمك يا ابني هل ستتعشَّى الآن؟!"

العشاء! نعم ... العشاء!

ΔΔΔ

طلبت كيلو كباب وكفتة للتوصيل حتى المنزل. صرخت أمي:

- "هل جننت؟ أتعرف أسعار هذا المطعم؟!"
- "لا تهتمي يا أمي، أخبرتك أنني حصلت على وظيفة جديدة"
- "إذن وفر القليل، لتتمكن من الزواج بحبيبة القلب!"

لا أعرف لماذا لا تذكر اسمها، حتى عندما تقابلها تناديها (عسل) أو (كتكوتة) وأحيانا (عروستنا)، لكنها لا تقول (آية) أبدا، ربما تجد اسمها غريبا. قالت:

- "هل ستتعشَّى معي؟!"
- "لا، سأخرج مع آية ..."
- "إذن لماذا طلبت كيلو من الكباب؟"
- "وما المشكلة؟ اطلبي من أم سندس الحضور، فهي دائما تحب الأكل عندنا"

هزت رأسها ثم رمقتني باستهجان، وقالت:

- "هل ستخرج بتلك الملابس؟"
- "ما لها؟!"
- "ليست مكوية ..."

أمعنت النظر متفحصة، ثم أردفت:

- "... ويبدو أنها ليست مغسولة أيضا"

- "لا يهم سأشتري غيرها"

ΔΔΔ

فور وصولي للمركز التجاري، توجهت إلى محل البذلات الفاخرة. أشفقت على البائع بمجرد دخولي؛ كان يقرأ كتابا كبيرا، وقد بلغ منتصفه؛ يبدو أنه لا يبيع على الإطلاق. قررت إسعاده؛ قلت:

- "أريد أغلى بذلة جاهزة لديك!"

تهلل وجهه، وهرع إلى دولاب خاص أخرج منه بدلة فضية. قرأت السعر المكتوب عليها؛ المبلغ الذي أحمله حاليا لن يكفي. أعدت صياغة سؤالي:

- "أريد أغلى بذلة جاهزة لديك يمكن لرجل لم يسرق بنكا أن يتحمل تكلفتها"

أنا لم أسرق بنكا؛ فقط ماكينة واحدة! ابتسم وهو يخرج بدلة سوداء من دولاب مجاور، وقال:

- "هل سمعت أنت أيضا عن سرقة البنك؟!"

- "ماذا؟!"
- "أحد اللصوص قام بإفراغ ماكينة الصراف الآلي بجوار فرع سوبرماركت أولاد حسن القريب!"

ابتلعت ريقي، وقلت وأنا أجرب البذلة:

- "وكيف فعل هذا؟ بالتأكيد هو محترف!"

أو محظوظ!

قال البائع:

- "لا، بل محظوظ؛ البنك قام بتطبيق نظام إلكتروني جديد تحت التجربة، ثم اكتشفوا أن به خطئا؛ حتى كاميرا المراقبة لم تكن تعمل ... هل تصدق هذا الحظ؟!"
- "حقا شيء غريب!"
- "البذلة تناسبك تماما ولا تحتاج لتعديل ... كأنها صنعت لك!"

نظرت إلى انعكاس صورتي في المرآة؛ حقا أبدو كعريس ... ربما يمكنني أن أطلب من (آية) الزواج الليلة! سألت البائع وأنا اتسلم منه إيصال النقدية:

- "هل هناك محل مجوهرات هنا في المركز؟!"
- "في الدور الثاني لكن أعتقد أنه مغلق الآن؛ الساعة تجاوزت التاسعة!"
- "ربما أدركه غدا"

أما الليلة فمعي ما يكفي لسهرة لا تنسى!

ΔΔΔ

أسرعت للدور الأخير. كانت (آية) تقف أمام المحل تتحدث مع زميلتها. ما إن رأتني تلك الأخيرة حتى لفتت انتباه (آية) مشيرة إليَّ، ثم بدأت بالضحك. التفتت (آية) إليَّ ثم ضحكت أيضا.

قلت لها بعد أن ابتعدنا:

- "ما المضحك؟!"

- "تلك البذلة التي ترتديها"
- "إنها غالية جدا، أنت لا تفهمين شيئا"
- "أعرف أنها غالية، وهذا هو المضحك لا تتماشى مع شعرك الكثيف ولحيتك الغير مهذبة"
- "سأحلق غدا!"

تفحصتني عن قرب، ثم قالت وهي تضحك:

- "تشبه غوريلا ترتدي بذلة ... أتعرف فيلم شريكّ؟!"
- "قلت سأحلق غدا ... ثم أن شريكَّ غولا وليس غوريلا"
- "هل ستخبرني من أين أحضرت البذلة؟!"
- "حصلت على عمل جديد ... أين تودين الذهاب؟!"
- "أي عمل؟ أنت لم تخبرني بشيء!"
- "سأخبرك بالتفاصيل لاحقا، أما الآن فعلينا أن نستمتع بالليلة"
- "هل الوظيفة الجديدة مع الحكومة؟"
- "لا ... ربما ... لماذا تسألين كثيرا؟ اختاري أي مكان تحلمين بارتياده الليلة، ولا تقلقي فمعي ما يكفي من النقود!"

تفكرت قليلا، ثم قالت:

- "في تلك الحالة، فلنركب قاربا نيليا، ونشتري حمص الشام، ثم نأكل ذرة وبطاطا، ونشرب حاجة ساقعة ..."
- "بطاطا وحمص؟! أهذه أقصى آمالك؟!"
- "وإذا تبقت معك نقود، ربما نشتري فطير بالعسل!"
- "حسنا، تريدين نزهة نيلية والكثير من الطعام؟ اتركي الأمر لي!"

ΔΔΔ

أمسكت بيدها ونحن نصعد على متن (لادونا) أو (اللونا) أو ... لا أعرف فاسمها مكتوب بالفرنسية، لكنها باخرة نيلية كبيرة من تلك الباخرات التي اعتدنا رؤية أضوائها الملونة ونحن نتمشى على كوبري (قصر النيل).

رحب بنا النادل ببذلته الفاخرة. رمقت بذلتي بنظرة سريعة لأتأكد أنها أفضل، ثم نظرت مباشرة في عينيه، وابتسمت بعجرفة. قادنا عبر السلم إلى السطح العلوي، ثم إلى طاولة بجانب السور. ألقيت نظرة على المياه

أسفل منا؛ بدت مختلفة عن شكلها حين نستقل مركب (ست الحسن)، كأنه نيلٌ آخر. رفعت بصري إلى السماء؛ حتى النجوم تبدو أكثر لمعانا.

همست (آية) في أذني:

- "أشعر بالبرد!"

بالفعل كانت الرياح شديدة على ظهر الباخرة، والنسيم مختلط بماء النهر، رغم أنها ليلة صيفية جافة. اقتربت من النادل، وقلت:

- "نرغب بطاولة أخرى ... هل هناك مكان داخلي؟!"
- "للأسف، الطاولات كلها محجوزة؛ أنتما محظوظان لأن تلك الطاولة كانت متاحة"

أخرجت ورقة من فئة المئة جنيه ودسستها في يده. لكزتني (آية)، وحدجتني بغضب. تفحص النادل المئة جنيه، ثم قال:

- "يمكنكما الجلوس على تلك الطاولة بعيدا عن السور"

دسست ورقة أخرى في يده، فقال وهو يبتسم:

- "اتبعاني، ربما هناك طاولة في القاعة الخاصة!"

تبعناه عبر السلم، ولكن تلك المرة إلى قاعة داخلية بالأسفل، تملؤها موسيقى يبدو أنها تُعزَف بآلاتٍ من عالم آخر. مرت بذهني سريعا صورة مركب (ست الحسن)، والراقصة (نوال) التي لطالما أمتعتنا بفنها المتهدل كثير الشحوم. أشار النادل إلى طاولة في ركن بعيد، بجوار نافذة زجاجية، وقال:

- "تفضلا بالجلوس ... سأعود بعد لحظات!"

ΔΔΔ

بعد قليل ظهر مرة أخرى وفي يده قائمة الطعام؛ كانت كلها بالانكليزية أو الفرنسية. وضعتها جانبا، وغمزت إلى (آية)، ثم اتكأت في الكرسي، وقلت وأنا أرمق النادل بطرف عيني:

- "نريد طبقيّ كالاماتا!"
- "ماذا؟!"
- "اثنين سمك كالاماتا"
- "تقصد كاليماري؟!"
- "نعم، ونصف جمبري ... كل ربع لوحده"

- "إذن وجبتي كاليماري، ووجبتي جمبري؟ شيء اخر؟!"
- "أرز، وسلاطات من كل الأنواع، وكل المخللات الموجودة ... لفردين!"

دوَّن ما قلت في دفتره بتردد، ثم انصرف وهو يبتسم. قالت (آية):

- "أخبرني من أين أحضرت النقود!"
- "قلت لك؛ حصلت على عمل جديد"
- "مستحيل! حتى لو أصبحت مدير محل راديوشاك فرع الهرم، لن تمتلك كل تلك النقود"
- "لماذا لا تصدقينني؟!"
- "أبو ناهية يا علي؛ الحقيقة!"

لا يمكنني إخبارها الحقيقة كاملة. قلت:

- "بينما كنت عائدا من العمل وجدت حقيبة بها نقود ..."
- " يا نهار أسود! لابد أن صاحبها يبحث عنها ..."
- "لا، ليس لها صاحب"
- "كيف؟!"

- "إنها نقود البنك"
- "لا أفهم"
- "أحد اللصوص قام بسرقة ماكينة الصراف الآلي بجوار السوبرماركت، وأنا وجدتها هناك؛ لابد أنه تركها وفر هاربا"
- "ولماذا لم تعدها؟!"

إنسانة فقرية، تعشق الفقر!

قلت:

- "إنها نقود البنك؛ لديهم الكثير منها، ولن يتضرر أحد"
- "أنا لن آكل من الحرام؛ سأعود للبيت"

قامت من على الطاولة. قلت:

- "أرجوك! الطعام حتى لم يصل ... نأكل ثم نرحل"
- "أخبرتك؛ لن أتنزه معك بنقود حرام ... أعد النقود لأصحابها، وبعدها تعال لاصطحابي"

صرخت فيها:

- "أصطحبك إلى أين؟ للتمشية في الشوارع حتى تتورم أقدامنا؟! للأكل من مطاعم لحوم الكلاب؟! لشرب عصير القصب، وإذا بالغنا في الإنفاق نطلب آيس كريم فراولة؟! هل هذا هو الخروج الذي تريدين؟!"
- "نعم ... هو بعينه!"

ΔΔΔ

راقبتها من النافذة الصغيرة وهي تغادر الباخرة. وضع النادل الطعام على الطاولة طبقا تلو الآخر حتى اكتظت المائدة، ثم قال:

- "أي أوامر اخرى؟!"
- "نعم!"
- "تحت أمرك؟!"

وضعت ثمن العشاء على الطاولة، ثم قلت وأنا أغادر:

- "استمتع بالعشاء"

ΔΔΔ

علي أن أحافظ على تلك النقود وأنميها، وحينها ستعود إليَّ وتعرف أنني كنت محقا. يجب أن أفعل كالأغنياء؛ أضع نقودي في البنك، وأستثمر بعضها. وربما أنشيء شركة، وأفتتح لها أفرع في كل مكان. ولكن ماذا يفعل الأغنياء ليلا؟ ماذا يفعلون حين لا يعملون؟! أول شيء سأفعله هو تعلم القيادة لشراء سيارة جديدة، وربما أشتري بيتا! لكن أعتقد أن النقود لن تكفي! إذن سأودعها البنك في البداية، وأنفق من أرباحها. والآن ماذا؟!

توجهت إلى مكتب سياحي كبير في وسط البلد، من المكاتب القليلة التي لا تزال مفتوحة في مثل هذا الوقت من الليل. رحب بي الموظف، فتشجعت وسألت:

- "هل هناك رحلات لأوروبا؟!"
- "بالتأكيد، أي بلد؟!"
- "فرنسا، وإيطاليا، وسويسرا، وألمانيا ... كله"
- "هناك رحلة على متن سفينة تجوب مدن أوروبا الساحلية!"
- "تحفة، هذا ما أريد!"

أعطاني ورقة مطوية، تشبه مجلات الدعاية التي يطبعها السوبرماركت كل أسبوع، لكنها لا تعرض صورا لأكياس نسكافية (ثلاثة في واحد). تفحصتها بعناية. كانت رحلة مثيرة بحق؛ تزور كل مدن أوروبا خلال شهر، ولكن أين (ليڤربول)؟! سألت الموظف:

- "هل ستمر الرحلة على محمد صلاح؟!"
- "ماذا؟!"
- "هل سنذهب إلى ليڤربول؟!"
- "للأسف مدينة ليڤربول لا تطل على البحر المتوسط"
- "لا بأس!"

ربما سيأتي هو إليَّ عندما أفتتح فرعا لشركتي في بريطانيا؛ سأجعله يمثل في إعلان الشركة. سألت الموظف عن سعر الرحلة ... مبلغ كبير حقا، لكن الأمر يستحق، فأنا لن أفعل كما فعل جدي – رحمه الله؛ كان دائما يقول: "حافظ على النقود، فهي تذهب ولا تعود"، وفي النهاية ذهبت نقوده لورثته، وبددوها. أنا سأمتع نفسي بالنقود. قلت:

- " النقود في جيبي الآن لا تكفي ... هل يمكن أن تحجز لي الآن، وأدفع الباقي غدا؟!"

ابتسم، وقال:

- "لا مشكلة! اترك رقم بطاقتك الائتمانية، وجواز السفر، ونحن سنتولى كل شيء"
- "لكن ليس معي جواز سفر"
- "تعني ليس معك الآن؟!"
- "لا؛ لا أملك جواز سفر ..."
- "وكيف ستسافر؟ يجب أن تستخرج جواز سفر"
- "سيستغرق هذا وقتا!"
- "لا مشكلة، الرحلة ستنطلق بداية الشهر القادم"

ΔΔΔ

الساعة الخامسة صباحا. في الأيام العادية، كنت سأكون مستلقيا في الفراش أتمنى ألا يرن المنبه معلنا وقت الذهاب للعمل. أما الآن، فلا

أشعر بالنعاس مطلقا. ترى ماذا سيقولون في العمل عندما يفاجؤوا بغيابي؟!

ما هذا الغباء! علي أن أذهب للعمل، حتى لا أثير الشكوك حولي، خاصة أن الماكينة قريبة من السوبرماركت. علي أن أتحمل حتى نهاية الشهر، وربما أفتعل بعض المشكلات حتى أطرد. لا يزال أمامي أربع ساعات حتى يبدأ دوامي، وربما أجعلها خمس إذا تأخرت ساعة. ماذا أفعل في خمس ساعات؟! سينما؟ لا؛ شاهدت كل الأفلام الجديدة على الهاتف. كباريه؟! ربما، لكن أعتقد أنهم انتهوا الآن، فقد أصبح الصباح. ماذا عن إحضار شيء لأمي؟ ماذا تحب؟ لا أعرف، لم تخبرني يوما! إذن ماذا أفعل بالنقود؟! الكباريهات أغلقت، ومعارض السيارات لم تفتح بعد، ولا توجد مباريات اليوم لأشتري تذاكر لها. وجدتها! سأشتري شاشة كبيرة، ربما خمسين بوصة!

ΔΔΔ

عدت إلى المنزل خالي الوفاض؛ محل بيع الأجهزة الكهربية لم يفتح أبوابه بعد. دخلت غرفتي البائسة ... خلال أقل من شهر سأودع هذا البيت

تماما. ألقيت نظرة على كومة النقود داخل الدولاب، وألقيت بنفسي بين أحضانها. مال بي الدولاب حتى ارتطم بالحائط. لممت النقود وعبئتها في كيس بلاستيكي أسود اللون، من الحجم الكبير، وعقدته جيدا، ثم خرجت من الحجرة. جلست أشاهد التلفاز القديم، وأنا أقاوم النعاس. أشعر بملل شديد. الليلة سأشتري الشاشة الكبيرة، وأحضر مهندسا ليركبها لي ... أو ربما فريق هندسي.

ΔΔΔ

وصلت العمل قبل موعدي بنصف ساعة، وأصابعي تقبض على كيس النقود. أودعته الرف العلوي، وتأكدت أنه مرتاح في مكانه، وأغلقت باب الخزانة، ثم ارتديت ملابسي، وشرعت في العمل. غفوت حوالي عشر مرات خلال ثلاث ساعات فقط. حاولت الاستئذان في الساعة الواحدة ظهرا، كي أذهب للبنك وأفتح حسابا باسمي، لكن رفض المشرف لأن عبوات (السوسيس) المجمدة وصلت اليوم، ويجب نقلها للثلاجات سريعا قبل أن تعطب. ربما أتمكن من الذهاب للبنك غدا ... هذا إذا لم تصل عبوات (البرغر). في تمام الثالثة عصرا ظهر مدير عام

الفرع في المخزن، فأيقنت أن هناك مشكلة، لأنه لم يفعلها إلا مرة واحدة منذ أصبح مديرا. قال:

- "اتركوا كل شيء، واتبعوني!"

فعلنا كما طلب؛ تبعناه للخارج. وأمام باب المخزن كان هناك ضابط، ورجل يرتدي قميصا عليه شعار البنك ... نعم، نفس البنك الذي أحتفظ بنقوده. كان معهما شخص آخر ... في التاسعة من عمره! أشار الصغير إليَّ فور أن رآني، وقال موجها كلامه لرفيقيه:

- "هذا هو!"

تسمرت في مكاني. طلب المدير من البقية الانصراف، لكنهم اكتفوا بالتراجع خطوتين، والوقوف قريبا لمتابعة ما يجري. تقدم مني الضابط، وقال:

- "ما اسمك؟!"
- "علي حسين"
- "هل تعرف هذا الولد الصغير؟!"

لم أتكلم، لكن هززت رأسي بالإيجاب. قال:

- "هل وجدتما بالأمس حقيبة جلدية بها نقود؟!"

- "ماذا؟!"

كرر السؤال، لكنني كنت أنظر إلى الولد الصغير، الذي هز رأسه مشجعا. قلت وأنا أزدرد لعابي:

- "نعم"

- "ولماذا لم تسلمها؟!"

يعتقد أنني وجدت النقود فقط، ولست أنا من أخذها من الماكينة؟! هل هذا ما أخبرهم به الصغير؟ لكن لماذا لم أسلمها؟ فكر بسرعة؛ لماذا احتفظت بها؟! قلت:

- "لأن البنك كان مغلقا!"

- "متى وجدتما الحقيبة تحديدا، وأين؟!"

- "في ... بعد ... عند ... بجوار الماكينة تماما؛ في نهاية الشارع!"

- "متى وجدتماها؟!"

- "لا أعرف تحديدا، لكنه كان بعد الخامسة مساء"

تدخل المدير قائلا:

- "هذا صحيح؛ موظفوا المخزن الصباحيون ينصرفون في الخامسة"

تفحصني الضابط بشك، ثم قال:

- "ولماذا لم تسلمها لقسم الشرطة؟!"

لماذا؟! لا أعرف. اختلق أي شيء؛ فكر في أي كذبة.

سمعت أحد الموظفين من خلفي يقول: "طماع"؛ قالها همسا، لكنها كانت كافية. قلت بثقة:

- "كنت أريد الحصول على مكافأة من البنك"

تقدم موظف البنك، وقال:

- "لكن البنك لم يعلن عن مكافأة"
- "حقا؟! لم أكن أعرف؛ اعتقدت أن من يجد شيئا فله نسبة ..."

رمقني الضابط، ولا زالت نظرة الشك تعلو وجهه، ثم قال:

- "ولماذا لم تسلمها للبنك اليوم؟ لماذا انتظرت حتى يغلق أبوابه ثانية؟!"

لقد انتهى أمري! لماذا لم أذهب اليوم؟ أتى صوت مشرف المخازن من خلفي:

- "لقد طلب اليوم إذنا بالخروج، لكنني لم أسمح له ..."

قلت بثقة:

- "نعم، هذا بالضبط ما حدث"

تململ الضابط، ثم قال:

- "وأين هي النقود؟! بالتأكيد أحضرتها معك ..."

حدجني بحاجب مرفوع في انتظار إجابتي، فقلت فرحا:

- "هي معي بالداخل؛ في خزانتي"

ΔΔΔ

أخرجت كيس النقود من الخزانة وقدمته للضابط. اختطفه موظف البنك، ثم فضَّه بسرعة. بدأ بعد النقود. عدها مرتين، ثم قال:

- "المبلغ ناقص!"

مصيبة! ماذا أفعل الآن؟! تقدم الولد الصغير، وقال:

- "هذا كل ما وجدنا؛ لم نأخذ شيئا"

قال الضابط:

- "وأين هي الحقيبة الجلدية؟!"

قلت:

- "احترقت!"

وفي نفس اللحظة قال الصغير:

- "تمزقت!"

نقل الضابط نظره بيننا مستنكرا، فاستدركت قائلا:

- "وقعت في النار، فاحترقت وتمزقت، لكننا تمكنَّا من إنقاذ النقود، وتخلصنا منها!"

- "أين؟!"

- "في النار!"

- " ماذا؟!"

- "كان أحدهم يحرق كومة من الأوراق والنفايات، أنت تعرف، كما يفعلون دائما، رغم أنه مخالف للقانون وأنا أرفضه طبعا ..."

- "انجز!"

- "... عندما وجدنا الحقيبة كانت محترقة تماما ... من الخارج، فأخرجنا منها النقود ... وتركناها تحترق"

قال موظف البنك مؤكدا:

- "يبدو أن السارق سرق النقود وتركها لتحترق، لقد رأيت هذا من قبل، أعتقد أنها تسمى سرقة بدافع الكراهية؛ لابد أنه لا يرغب بالنقود لكنه ناقم على البنك لسبب ما، ولولا هذين البطلين لاحترق المبلغ كله، وليس ألفا وثلاثمئة ..."

صرخت بدهشة:

- "كم؟! فقط ألف وثلاثمئة جنيه؟!"

قال الضابط وعلى وجهه ابتسامة خبيثة:

- "ما الأمر؟ هل تعرف أين النقود الناقصة؟"

قلت بسرعة:

- "لا، لكن من الجيد أننا أنقذنا الباقي"

شكرنا الموظف بشدة، ثم وضع النقود في حقيبة خاصة بالبنك، وانصرف. عاد عاملوا المخزن إلى عملهم. اقترب مني الضابط قبل أن يخرج، وهمس في أذني قائلا:

- "لولا أن المهندس الذي صمم نظام البنك أكد أن السارق لابد أن يكون مخترق حواسيب محترف، لشككت فيك ... لكن مظهرك يوحي أنك لا تعرف حتى كيف تستخدم هاتفك الخاص"

هززت رأسي مؤكدا، وقلت:

- "نعم، أنا مجرد عامل مخازن مسكين!"

ΔΔΔ

بعد أن رحل الجميع اقتربت من الولد الصغير، وسألته بضيق:

- "ما اسمك؟!"
- "علي"
- "وأنا أيضا اسمي علي!"
- "نعم، لقد سمعت ..."
- "هل ستخبرني ما الذي حدث؟"
- "البارحة ندمت لأني أخذت العشرة جنيهات، لأنها ليست من حقي، فرجعت كي أعيدها مع باقي النقود، فرأيتك تركض وأنت تحمل كيسا بلاستيكيا، فأدركت أنك أخذت النقود، ولم تعدها كما أخبرتني ..."
- " فقررت الإبلاغ عني؟!"
- "... في تلك الليلة أذاعوا خبر سرقة الماكينة على التلفاز، فأخبرت أبي أنني وجدت المال، بالطبع لم أخبره أنني أنا من تسبب بخروجه من الماكينة بنفسي ... وهكذا اتصلنا بالشرطة في اليوم التالي، وأخبرتهم أننا وجدنا المال معا، وأنك تعمل هنا ..."
- "وكيف عرفت؟!"

- "الكاب الذي كنت ترتديه كان مكتوبا عليه اسم السوبرماركت ... ألم أخبرك أني أجيد القراءة؟!"
- "بلى ... أخبرتني"
- "أعرف أنك غاضب ... كنت أتمنى ألا تكون قد أنفقت النقود، أو فعلت بها شيئا خاطئا، لقد كذبت من أجلك ..."
- "ومن أجل نفسك أيضا!"
- "حسنا ... أتعرف! رغم أنني أعدت العشرة جنيهات، ولم أشتري الشوكولاتة بالبندق، إلا أنني أشعر بالسعادة، ألست سعيدا أيضا؟!"
- "لا، لست سعيدا؛ كنت أريد أن أشتري أشياء كثيرة بالنقود"
- "مثل ماذا؟!"

شرد ذهني لوهلة، ثم قلت:

- "لا أعرف ... لكنها أشياء كانت ستجعلني سعيدا"

- "هل تذكر البارحة؟ كنت أريد شراء شوكولاتة بالبندق، لكنني بدلا من ذلك اشتريت شوكولاتة عادية، ثم أدركت شيئا هاما وأنا آكلها ... أتعرف ما هو؟"

لم أجبه، فواصل:

- "أدركت أن الشوكولاتة بالبندق هي نفسها الشوكولاتة العادية ... فقط عليها بندق"
- "حسنا، حسنا! اذهب أنت وبندقك من هنا ... أنا لازلت غاضبا!"

في الحقيقة لم أكن غاضبا؛ أشعر بالقليل من السعادة ... لا أعرف لماذا.

ΔΔΔ

في موعد الانصراف نفخت في شاشة ماسح البصمة، ووضعت اصبعي عليها. لم تعمل. مر المشرف من خلفي، وقال:

- "بلل اصبعك؛ هكذا ستعمل أسرع"

ظهرت الرسالة على الشاشة "علي حسين ... الخامسة مساء ... انصراف"

طلبت رقم (آية)، واتصلت بها. جاء صوتها من الطرف الآخر متكدرا:

- "ماذا تريد؟!"
- "هل ترغبين بالخروج الليلة؟!"
- "تخلص من النقود أولا ..."
- "اطمئني، لقد تخلصت هي مني"
- "حقا! إذن تعالى لاصطحابي في التاسعة"
- "أين سنذهب؟!"
- "ما رأيك بالذهاب إلى مركب ست الحسن؟!"
- "لماذا تحبين هذا المركب؟"
- "إنه المكان حيث التقينا أول مرة!"
- "لا مشكلة، وربما يمكننا شراء ..."
- "ماذا؟!"
- "شوكولاتة بالبندق!"

للمزيد

صفحة ع. ع. محمد